

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المجلة

للمصطفى والتاريخ

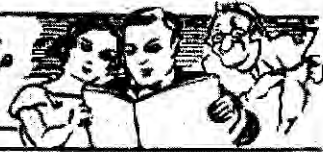
نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٤ المحرم سنة ١٣٥٧ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥٣

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٢٢٦	وحدانية الحب ... قصص مصرية ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...
٢٣٩	صداقة الحب ... للكاتب الفرنسي هنري بورديو ... بقلم الأستاذ ناجي الطنطاوي ...
٢٤٩	أ كان يجب أن أخبرها ... عن الإنجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحليم حدى ...
٢٦٦	حاجى بابا أصفهاني ... للكاتب الإنجليزي « جيمز مور » ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...

وَحَدَّثَنَا نَسْرَةَ الْحَبِيبِ

أَقْصَوْصَ هَذِهِ مِصْرِيَّةَ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْخِ خَشَبَةٍ

— أنت تفتالي في تقدير هذا
السكائن يا فؤاد
— لست أغالى... ألا تفترف
مى بأنه حاكم بأسره ؟
— هو ذاك ... لكنه في
الوقت نفسه يجعل الانسان ...
أو يجعل القلب ... كالقراش ،
فهو يطير به على كل زهرة ، ويرف

به في كل بستان

— إن للقراش يفعل ذلك من أجل صالحه ،
ولسنا ماديين في الحب يا صديقي !
— هذا هو غرور الانسان ...

— ليس غروراً ... فقد كرمنا الله نخلق حبنا
من نور ... من كهرباء !

— وهذه فلسفة أيضاً !

— ليست فلسفة ، بل هذا هو الواقع !

— كل هذا تقوله عاطفتك المشبوبة ، ولوحكت

فيه عقلك لتبخر كله وعرفت حقيقة الحب وما هيته !

— يجب ألا تكون علاقة بين الحب والعقل ...

— إن العقل شيء قبيح جداً ... إنه يتلف كل شيء !

— إنه يشوه الجمال ويمسحه ...

— يجب أن نفهم أولاً هذه المسئلة : هل نحن

في الحب نشبه القراش أولاً نشبه !

— قلت لك إن للقراش يتنقل من زهرة

إلى زهرة ليمتص الرحيق الحلو .

— والقلب ! ألا يتنقل من حبيب إلى حبيب

إلى حبيب ليرشف الثغور الحلوة ، ويقطف القبل

من ورد الحدود ؟ !

— هذا هو الفسق ، ليس هذا حباً ؟

— والله يا صديقي أنا لا أدري كيف يفهم الحياة
هذا الشاب ! إنه أكثر ما يكون سام غائر للمبتدئين ،
له نظرات عميقة ممتلئة نافذة لست أعرف كيف
أفسرها ولا أدري كنهما

— هذه حال المحبين يا عزيزي ... ألا يجب
صبري ؟

— لا أظن أنه يجب كما نفهم نحن الحب

— ماذا تعني ؟

— أعني أنه لم يهب قلبه فتاة بمينها

— هذا لا يهم

— وكيف ؟

— قد يجب الانسان فتاتين وقد يجب ثلاثاً

وقد يجب أكثر من ذلك

— وماذا يكون هذا النوع من الحب ؟

— يكون مثل كل أنواع الحب !

— أكبر ظني أنه يكون حباً حيوانياً

— ولماذا يكون الحب المتعدد حيوانياً ؟

— لأن الحب كائن أرستقراطي مستبد ، لا يرى

أن يشركه شيء في سوائه ، ولا أن يحكم معه أحد

في دولته ... إنه حاكم بأسره يا عزيزي ... إنه

دكتاتور ! إنه يقصر مسلط على جميع القرائن يا عزيزي !

— وما الحب إذن ؟

— الحب أن يغنى الحب في الحبيب ، أن يؤثره

بكل شيء ... ألا يشرك معه أحداً في قلبه ؟

— بل الحب الأثرة !

— وكيف يكون الحب أثرة ؟

— الأثرة : الأنانية !

— ما سألتك عن معنى الأثرة لنقول إنها

الأنانية ... كيف يكون الحب أثرة ؟

— يكون الحب أثرة لأنه يجعلنا أنانيين ...

فهو يجعلنا نتوهم أن الحبيب هولنا فقط وليس لأحد

سوانا ، فإذا رأيناه ينظر إلى شيء أو يمشي مع

شخص آخر ولو كان هذا الشخص من محارمه ،

ثرنا وتولانا للنصب ، فإذا حدث أنه غاب عنا بعد

ذلك تسلمنا الشكوك وافترسنا الغيرة وترادفت

في رؤوسنا حينذاك كلمات كثيرة حفظناها من

أنايتنا المريضة ... فن ذاك كلمات الرقيب والمعدول

والمجر والخصام ... وقد نذكر البكاء فتبكي ،

والدموع فنسفع الدمع الغزير ، وقد لا تقوى

على البكاء فتبكي ساهمين مفكرين مشردي اللب

عميق النظرات كما رأيت صديقك صبرى ...

— وكيف يحب من تكون هذه حاله غير حبيبه ؟

— يحب غيره لأنه لا اختيار لأحد في توجيه

قلبه ... عينان تقيان على منظر حسن فيتأثر القلب

ويرقص ويطرب ويبعث إذا كان هذا النظر فتاة

حولة ريانة ... هذا كل شيء !

— عجبا !

— أى عجب ! أنت أول من يكفر بالوحدانية

في الحب إذا واثقت الفرصة للخلوة بأكثر من فتاة

جميلة في يوم واحد فتراك قد ملت إليهن جميعاً ،

وأنهن جميعاً قد غزرون فؤادك ... هذا بشرط أن

تكون أنت فتى فينان للشباب دفاق الدم فوار العاطفة

وأن تكون فتياتك غيداً أماليد ذوات سحر وخفة

— إذن أنت تخلق ظروفًا خاصة تبرر بتوفرها

للتعدد في الحب ...

— يا صديقي ، الحب استجابات للظروف التي

تحيط بالقلب في فترة ما من الزمن .

— أراك قد أطلت في تحليل فلسفتك الجديدة ،

ولست أدري ما علاقة ذلك كله بصبرى وما يمره

من وجوم وشروذ ذهن !

— علاقة ذلك بصبرى أننى أو كذلك أنه يحب !

— وكيف وهو متزوج !؟

— أو كذلك أنه يحب ولو أنه متزوج !

— إنه متزوج من الفتاة نفسها التي كان يهواها

بل يصبدها !

— ليس يمنع هذا من أنه صبا إلى غير زوجته !

— وكيف يصبو إلى غيرها وقد وهبها حياته

وتفكيره وجهاده !

— فى سؤالك عود إلى حديثنا السالف ...

وصديقك صبرى يؤدي وظيفة للفراش في رشف

الرحيق من الأزهار ، وهو قد انتقل من روضة

إلى روضة ، وأؤكد لك أنه سينتقل إلى أخرى ،

وسيبطل هذا حاله حتى يخدم جسمه ، وتنطق جذوة

شبابه ، ويبقى إلى الحقيقة ...

— وأية حقيقة يا غالب !

— حقيقة الحياة !

— وما حقيقة الحياة بعد هذه الجولات التي

يصورها لك خيالك فى عوالم الحب ؟

— لا أستطيع أن أذكر لك ... ستعرف كل

شيء، ولكن من سجل الحوادث، فعمل بنا نتحسس أخبار البطل ...

— أى بطل؟

— البطل الذى تماربنى فيه !

— صبرى؟

— أجل ... صبرى ... صبرى

كان غالب أفندى عبد الرؤوف صادق الفراسة فيما ذهب إليه من تحليل وجوم هذا الشاب المجيب، صبرى أفندى نجيب . فلقد أحب صبرى زوجته حباً جماً قبل أن يصل أسبابها بأسبابه . ولقد كان يهواها وبعيدها كما زعم فؤاد فى حديثه الطويل الجليل مع الأستاذ غالب . وكانت قصة غرامهما درامة رائعة فياضة بالدموع جارية للبركات ، فيها ألم وفيها عذاب ، وفيها من تباريح الحب ما غمر قلبيهما وصهرهما وطهرهما ، وفيها أقسام غليظة وعهود وثيقة أن يكون أحدهما للآخر وألا يشرك أحد منهما بصاحبه مادامت الأرض والسماء

وكان صبرى فتى جميل الحيا وافر للثروة أنيق الهندام يحب الفناء ، مشغوقاً بالموسيقى ... وكانت له ضيعة فى ضواحي الزقازيق تأنى له بقلعة عظيمة ، وكان يحب منزله الرافى المشرف من ناحية الشرق على حديقة متوسطة أقام فيها كرمًا وارف للظلال يقسمها أربعة أقسام تلتقى عند عريش جميل كان صبرى ممجبا به ، فكان يجلس تحته يبنى أو يداعب عوده ، أو ينظم أغاريد المصرية الصافية ثم يلحنها ، أو يقرأ فى ديوان ، أو يتلو قصة ، وشذا الورد وعبق الأزهار ، والحديقة كلها ، بل الدنيا جميعاً تتأرجح من حوله ، فتكون بين يديه لحنًا من أعذب

الألحان ، أو روضة من جنات رضوان أما من ناحية الجنوب فكان المنزل مشرقاً على الحقول المثلثة بالحياة المنبسطة تحت رحمة الله ، تؤتى أكلها فى لين ويسر ، فتملاً الأهرام كما تملاً الجيوب ، وتفيض على الناس خيرات وبركات أما من ناحية الشمال ، فكانت تتدفق مياه للترعة القديمة الخالدة تحت أشجار الجيز والنبق ، وفي ظلال النخيل الباسق ، وكانت تحدث خبراً ما كان أحلاء وما كان أشجاء ، لأنه غناء الطبيعة ونشيد الخلود

هنا كان يقم صبرى ... يبنى وينظم ويقرأ ، ويتحد بالكون الرائع الهادى ، ويسرى فى الليالى المقمرة نفحة جميلة ذات جرس فى أجواز الفضاء ، ويستيقظ مع الشمس ملاكاً نقياً ، يرف فوق هروش الشفق ، وبتطرح فى ظلال الدوح فيتأمل فى قدرة الله العلى ، ويملاً قلبه من جمال ما صنعت بداه ثم يقضى أصائله مع منرب الشمس منحنيًا فوق عوده يستودعه أسرارته ويروح له بمكنون قلبه ...

ما أجل الريف المصرى وما أحسن انسجامه ! هنا كل شيء فطرى، فلا مجازفات ولا مخاطرات... قناعة ونفس مرسلّة على سجيّتها... فلماذا آثر صبرى الساذج القانع أن يذهب إلى القاهرة؟! ماذا فى القاهرة أجل مما هو هنا فى تلك الضاحية الفطرية الرائعة؟! إن القاهرة كالقول الذى لا يفتأ يكسر عن أنيابه بفترس السجاياء ويطحن الجبلات... إنها مأوى الأبالسة وصرع الشياطين وملعب الجنة، وإن تكن أكثر بلدان الله مساجد وكنائس وبيماً... كل ما فى القاهرة مصنوع.. ليس فيها شيء لم تنفق على تطريته الألوف والألوف.. إنها حى من أحياء

تلك للقلوب الرطبة بما حباها الله من رشاقة وخفة
وجمال

لم تكن سنية من هؤلاء الراقصات اللائى يتجرن
بأجسامهن فيجملن أثماناً للنظرة والابتسامة والكلمة
والجلسة والربطة بأطراف الأصابع ثم السهرة بما
يكون فيها من نصيب أوفى للشيطان ، فتكون القبلة
بشمن قدره كذا ، والضممة بسمرورنه كبت ، والرقصة
العارية المجردة بكذا من القروش المدودات ...

لا... لم تمارس سنية هذه التجارة القذرة وإن
تكن بحكم الصنعة تعرفها ، وكانت على استعداد
لمارسها لو لم يدخل صبرى افندى نجيب في حياتها
فجأة ، فكان دخوله فيها كالنور الذى يقشع الظلام
ويبدده ، ويحل البشر والابناس محل للتجهم الذى
هو مصدر جميع الشرور

لقد كانت سنية تسبح في حفلة الرقازيق الساحرة
في فيض من ضوء البرتقال في خفة ورشاقة وتثن ،
وكان جسمها الناضج الخصب المتلى بالشهوات
يروح فوق المسرح ويحى في حركات مضبوطة
متزنة ، وكانت تخذها العارية اللساء للناعمة تنقبض
وتسترسل وتلف كاللؤلؤ فوق قدم صغيرة حافية
لها أصابع دقيقة أنيقة وعقب جميل مستدير ، كان
عامل للنور الخبيث يسلط عليها ذوباً من الضوء
الأبيض للناسع فيجعلها كزهرة الزنبق للفضة
المنضوحة بخمرة للطل

وكان ذراعاً سنية تستدقان عند الكفين ،
وتلتفان عند الساعدين ، وتبرزان قليلاً عند الكوعين ،
ثم تمتلئان عند الممضد ، فكانتا بذلك أجل ذراعين
تقع عليهما عين شاهر وموسيقى مثل صبرى ...

وكانت الفتاة تحمل إحداها في رفق وهودة
فوق صدرها الناهد ، فتغطى ندياً وتكشف آخر

جهم انتقل من سواء الجحيم ليكون فتنة هذه الدنيا
والناس يتهاثون عليه لكثرة ما فيه من الفريات ..
اللامب ... المراقص ... المساهر ... الحانات ...
دور اللهو ... فخاخ الشباب ... مصائد اللذات ...
المواخير ... أوه لهذه المواخير !

أحس صبرى ظمأ شديداً إلى القاهرة : لقد
انتشرت الأبالة تبحث عنه حتى وجدته يصلى بريثا
ساذجاً في صومعة الريف ، فنفتت في قلبه الرغبة ..
ووسوست إليه بضرورة التنغير ... لقد ضحكت عليه
وصرخت في صدره بأن الحياة التى يحياها حياة خاملة
متشابهة نيمت للنفس وتزهق للمواطف ، وتكبت
الروح ... والشباب الذى له مثل شباب صبرى
وقريحته ومزاجه لا يخلق به أن يحيا سجيناً هكذا
لا بد أن يؤدى رسالته في محيط شاسع واسع مختلط
بتغير كل ساعة ولا يبقى على سنة واحدة أكثر
من يوم ...

ما هذا الريف الساكن الساكن الهادي الصامت
الذى لا تحس له ركزاً ولا تكاد تسمع له همساً ؟
ما أبشع أصوات البقر والجاموس والحجر والأوز
والبط والكلاب الريفية وقطاط القرية !

ما أبشع أسراب الدباب تحط على كل شيء
وتفمر كل شيء ، وما أقسى لدغات البموض !

هكذا ألحت الأبالة على قاب صبرى ، وهكذا
بفضت إليه هذا الريف البار الذى لا يؤذى أحداً
ولا يلحق الضرر بأحد ، ثم حسنت إليه القاهرة
الساهرة المريدة التى لا تكاد تنام ...

وهكذا اتوى صبرى أن يتبع الفتاة القاهرية
الرائمة التى رآها في الرقازيق ترقص في ليلة ساهرة
مع إحدى الفرق الجواله ، والتى استطاعت أن تسحر

لقد كانت سنية تقف في مفرق الطريق عند
ما ساق إليها القضاء صبرى ، وكانت موشكة أن
تردى في الهاوية التي ابتلت الألوف من أشباهها ،
لولا أن أشرق في ليلاها هذا الكوكب الدرى فجذبها
إليه ليصنع منها قديسة !!

— بل الحياة في الريف أجمل وأكثر بهجة ...
إنك واهمة يا أختاه ... إن حديقتي ستسحر
بأزهار البرتقال والنارنج والخوخ والشمس ...
وستطرين إلى دوى النحل ... لا تخافى ، فتحلنا
هادى ودبيع لا يؤذى أحبابه ، لقد تقف للنحلة على
يدى فتقبلها كأنها تعرف من أنا !!

— كل هذا جميل وساحر ، وأنا أحب الريف
كما لا يحبه أهله

— كما لا يحبه أهله ؟

— أجل ...

— وكيف يا سنية ؟

— إنهم من طول ما امتزجوا به يودون لو
تخلصوا منه

— وإلى أين يذهبون ؟

— إلى المدن الساحرة ... المدن للكذابة !

— إلى هذا الحد لا تحبين المدن !

— أنا لا أحب المدن لأنها ترهقنى

— وكيف ترهقك وكل من فيها صرعى هوالكا !

— هذا هو الذى يضجرنى ... إن للناس

يهاجوننى بشهواتهم وكل منهم يريدنى لنفسه وإلى

الآن لا أدري لمن أكون

— لأحسنهم طبعاً !

— ليس فيهم أحسن وأردأ ... كلهم أبناء

وهنا كان موضع فتنها وسحرها ... وليس يدري
الخيال أى لئدين أو فرقتين وأكبر نصيباً من الجاذبية:
المكشوفة ، أم المحتبسة تحت الكف للثرية المنداة ؟
أما ابتسامات سنية ونظرات سنية فكانت خير
رأس مالها في دولة الجمال . فلقد كانت تغتر عن فم
حلو خللاب لم تمالج إلا بقليل جداً من أحمر الورد
فاذا تبسم بدت ثناياها المذاب الرطاب ، وتضحك
خداها ففاضلا الأنواء للظامنة بالقبل

أما عينها فكانتا نفاذتين أخاذتين ، لهما شك
عجيب في سويداءات القلوب ... فاذا لم يسلم الرأى
بنفسه ، غرق منهما في لجنتين من السحر ، فلم يدر
لنفسه قراراً ولم يفز بنجاة

هذه سنية ... هذه هي الفتاة التي شقت فؤاد
صبرى شقاً عتيقاً فاستقرت فيه غير راحة ... هذه
هي الغادة التي غيرت مجرى حياة الشاعر الهادى
للسا كن فجعلتها عريضة صاحبة مضطربة كالثورة .
تطلب كل شيء ، وتشتهى كل شيء ، ولا تقنع بشيء ،
ولا تسكن إلى شيء

لقد كان صبرى ينكر الجمال المصرى حتى رأى
سنية فأمن به ، وعرف أن الخير موجود بوفرة في
كتناة الله ، وأن الجمال المصنوع في شركات السينما
هو زيف وبهرج لا يمدل الجمال الطبوع في هذا
الوادى القديم المقدس

ولقد كانت سنية تحفة من آيات النيل طبعت
على غرارها تحف كثيرة نادرة ، لكنها وأسفاً تختبئ
في مباءات الفقر وتهمل في الأزقة والطرقات ،
ويندر أن يكتشفها قلب عاشق أو خيال فنان إلا
في مرقص أو ملهى أو ماخور ، بمد أن تشوهها
يد اللعب ، أو تمزق عفافها يد الدنس ، أو تبذلها
الأغراض والشهوات ...

— أخشى أن تكون حبيباً جديداً !
 — ليكن ما تظنين !
 — لكنى لا أحب لك أن تكون فى قاعة الآخرين !
 — لن أكون فى قاعتهم إن شاء الله !
 — هذه إذن تكون تضحية مجيبة !
 — ولماذا تكون تضحية ؟
 — قبل أن أفسر لك ما أريد أود أن تصارحنى !
 — وبماذا أصارحك ؟
 — لماذا تريدنى عندك فى الريف !
 — لتكونى أجل زهرة فى بستانى !
 — خيال شاعر لا يستطيع أن يفربنى !
 — ليس ما أقول من خيال للشعراء يا سنية ،
 ماذا تريدن أن أقول لك ؟
 — أنت تعرف ماذا ينبغى أن تقول ، ولكن ...
 لا تكن شاعراً أرجوك !
 — أنكروهن الشعر ؟
 — أكره الشعر الذى يكذب به قائلوه على سامعيه !
 — وأي شعر تحبين إذن ؟
 — وأي شعر ترى أن يجب للمذارى ؟
 — الشعر الذى تغسله الدموع !
 — قد يكون هذا كذب الشعر !
 — الشعر الذى يحس الإنسان حرارته !
 — قد تكون الحرارة طبيعية فى قلب الإنسان
 فيتأثر بأى أنواع الشعر ويحسبه حاراً !
 — الشعر الصادق الحى إذن !
 — قد يكون الشعر صادقاً حياً فى حين يكون
 صاحبه لا صادقاً ولا حياً
 — وكيف ؟ أليس الشعر هو الشاعر ؟

آدم ، والخطيئة تجرى فى أصلابهم بالوراثة
 — إنك تظنين بالناس الظنون يا سنية !
 — ليس هذا مجرد ظن يا عزيزى ... لقد
 درسناهم وخبرناهم مكنوناتهم ... أبداً لن أنسى
 ما غمرغ الشباب تحت قدمي لأنيلهم إحدى ثمراتي ،
 فلما كنت أستدرجهم وأقترح عليهم سبيل الرحمن ،
 كانوا يمزفون ويفرون منى كأن طاعوناً !
 — وى ! !
 — هذا حق ... لقد كانوا يفرون حق
 لا بصيبيهم طاعونى ... لقد كانت شهوتهم تنطق
 فجأة عند ما أذكر لهم الزواج ...
 — ولماذا كانوا يرفضون ؟ !
 — كانوا يرفضون لأننى راقصة ... ومن حق
 الناس على الراقصة أن ينالوها بأيسر ثمن ... ليس
 للراقصة أن ترتفع إلى الأفق الملوئ الذى يحيا فيه
 جميع الناس ... إنها مخلوق وضع ، فكيف تحسب
 نفسها من معدنهم !
 — هذه مبالغة يا سنية !
 — ليست مبالغة .. إن الناس يزدروننا ويزعمون
 أننا مجردنا من فضائلنا حين اضطررنا للموز إلى هذه
 الحرفة ... ولست شمري ماذا كنا نصنع ؟
 — لهذا قلت لك إن الريف جميل !
 — ماذا تمنى ؟
 — أنت تفهمين كل ما أعنى !
 — أتمنى أن أزل عليك ضيقة ؟
 — حاشا لله يا سنية !
 — إذن لماذا تمنى ؟
 — ألا تحسبن يا سنية أن كلا منا كان يفتقد
 الآخر من عهد بعيد ؟

- ليس في كل الأحيان ، فقد يكون للشمر
صناعة ومع ذلك تكون فيه حرارة وصدق وحياة
— فإذا كان شمرى حقاً ؟
— أى ؟
— أى أنه ليس صناعة يزجها اللسان
ويزخرفها للقلم ؟
— إذن فلماذا تريدن أن أكون عندك
في الريف ؟
— لتكوني لي وحدي فقد أصبحت لا غناء
لي عنك ولا حياة بدونك ؟
— أهذا هو الشمر غير المصنوع ؟
— إى وحقك يا سنية ؟
— لشد ما أنتم أنانيون يا عشاق ؟
— لست أنانياً ... ولكن ...
— ولكن ماذا ؟
— لا أريد أن تقع عين عليك فتسمنع بجبالك
بعد اليوم ؟
— إغراق في الشمر مرة أخرى ؟
— لست مغرقاً في شمر كما تظنين ؟
— أنت تراوغني ، وأوشك أن أضيق بك كما
ضيق بالآخرين ؟
— معاذ الله أن أراوغك يا سنية ، أرفضين
أن تكوني لي ؟
— لست أرفض ولكن بأي سبيل ؟
— بأي سبيل كيف ؟
— هل تسألني ؟
— لا أفهم ؟
— لأنك تراوغني كما كان يفعل الآخرون ؟
— وماذا كانوا يفعلون ؟
- لقد ذكرت لك كل شيء
— آه ... فهمت ؟
— فهمت ماذا ؟
— لقد كانوا يريدون بعض ثمارك بأيسر ثمن ؟
— هو ذاك ؟
— وتحسين أنني أصنع كما كانوا يصنعون ؟
— وماذا تصنع غير ذاك ؟
— كلا يا عزيز ... يا حبيب ... كلا يا سنية ؟
— لماذا ترتبك هكذا ؟
— أرتبك لأنك ترفضين أن يكون كل
ما أملك لك ؟
— إذن فاسمعا مني ... أنا أرفض أن يكون
كل ما تملك لي .
— ولماذا ؟ أليس للميش مع شخص واحد
خيراً منه مع كثيرين ؟
— إذن أنت لم تفهمي ، ومن الخطر أن
تركن إلى ...
— من الخطر أن أركن إليك ؟ ولماذا ؟
— لأنى راقصة .
— وما في ذاك من الخطر على ؟
— سأحطم حياتك ... سأجعل معادتك
ألقاضاً ... لن تنظم بيتاً واحداً من الشمر بعد أن
أدخل منزلك الريفى ... لن تفنى ... لن تشكو
إلى عودك ... هل سمعت ؟
— أنت واهمة يا سنية ؟
— لست واهمة ، ولكنك الآن في فيض من
عواطفك فلا تستطيع أن تفهم ... ثق أنك سوف
تكون أشقى الأشقياء إذا آويتني في عشك الريفى
الجميل ... فانا أنصحك ...

- تنصحيني بماذا ؟
 — بأن تبتمد عني ما استطعت ، فأنا خطر عليك
 — أوأنا قد ابتمدنا كثيراً يا سنية ... لقد
 أسأت فهمي
 — كلا ، لقد فهمتك جيداً ... أأنت تريدني
 لك وحدك ؟
 — بلى ، أريدك لي وحدي ، فما في ذاك مما
 أملك ؟
 — لم يؤلمني شيء ، بل إنه قد سرني أن أفهمك
 كما فهمت الآخرين ، فلقد كان كل منهم يريدني له
 وحده ... مثلك تماماً !
 — لكنك ذكرت أنهم كانوا يهربون منك !
 — كانوا يهربون مني كما تحاول أن نهرب أنت
 الآن !
 — وكيف أهرب منك وأنا أحاول أن أذو
 منك أكثر من كل لحظة دنوت فيها منك ؟
 — إذن أجب عما أسألك دون أن تلتوي هكذا:
 كيف تريدني أن يضمني منزلك الربيعي إذا رحلت
 معك إليه ؟ أأكون فيه حبيبة ؟
 — تكونين فيه أتمن من حبيبة ؟
 — أأكون ماذا إذن ؟
 — تكونين مالكة متصرفة !
 — أي أنك تنزل لي عن بيتك ؟
 — ولم لا أفعل ؟
 — بمقد مسجل ؟
 — بأية طريقة تحبين !
 — وماذا أملكه لأنفق على هذا البيت ؟
 — ضيعة واسعة !
 — تكون لي ؟
- تكون لك تتصرفين فيها كما تشائين !
 — ثم يكون بيننا بعد ذاك ما أمر الله أن يكون
 بين كل امرأة يتصل بها رجل ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا تجيب إذن ؟
 — ... ؟ ...
 — ألم أقل لك إنك لا تفضل أحداً من أبناء
 آدم !
 — إنك تربكيني يا سنية !
 — ولماذا أربكك ؟ ألا نرى طلبت منك ما يطلب
 الله من الرجال للنساء ؟
 — أما لا أمانع فيما تطالبين ...
 — إذن لقد اتفقنا
 — ولكن لي شرط
 — وما ذاك إذن ؟
 — أن تكتني بخطاب أكتبه إليك !
 — وشاهدين !
 — لك هذا ...
 — وما يخيفك من الطريق الذي يسلكه جميع
 الناس !
 — ليس يخيفني شيء !
 — عجيب أمرك والله ! إذن نسلكه نحن أيضاً
 ما دام لا ضير عليك فيه !
 — لكن ...
 — لكن ماذا ؟
 — لا شيء !
 — بل أنت تخشى أشياء كثيرة ؟
 — أشياء كثيرة مثل ماذا ؟
 — حتى ما تخشى منه تريدني أن أقوله لك !
 (٢)

أرأيت إلى هذا الحوار الطويل ؟ أرأيت كيف كان الفتى سبرى مثل كل الناس فى منازلة هذه الراقصة اللبريئة ؟ لقد أرادها كما أرادها غيره ، ولما استمعصت عليه بهذه الوسيلة عرض وسيلة أخرى ... لقد أراد أن يقنصها بالمال ، لكنها أبت وصارحته أنها ترفضه ، فلم يجد بداً من أن يتقاد لها كما تريد ؛ وهو بذلك قد مسح حبه وضرق جماله وشوه العاطفة الكرعة التى سرت بين قلبه وقلب سنية ، ولو أنه كان قد أجاب صيحة حبيبته ولبي نداءها دون هذه المراقيل التى أقامها بينهما لكان أسعد حالاً مما انتهى إليه أمره

على كل حال لقد تزوجها وذهب بها إلى منزله الريفى الجميل ، ولقد سعد بها سمادة كانت متتهى أحلامه ...

وكانت سنية تنشد هذه الحياة الزوجية الهادئة البعيدة من المراقص والملاعب والحانات ودور اللهو ؛ ولم تكن مثل كل الراقصات تطرب لكلمات اللثناء الكاذب التى يبعثها العشاق حول أذنيها كي يخذعوها ... لقد كانت تعرف الباعث على هذه الكلمات ، فكانت ترددها فى صميمها ، ومحتقر أصحابها ، وإن لم تبد لهم مكنون نفسها ، فكانت تجزيهم بابتسامة فاترة لا تغالى فيها ، ثم تمضى فى سبيلها تاركة فى كل قلب لوعة وفى كل نفس حسرات ؛ وكانت لذلك تصلى لله أن يرزقها هذه الحياة الطيبة الوداعة ، وأن يتقدها من للميون الجائمة ، وللنفوس المائمة ، والشهوات الوضيعة التى تنطق بالدرام فى اللبؤر والواخير .. فلما فازت بها هدأت وأطمانت ونسيت لصبرى هذا الالتواء الذى كان يضمه بينه وبينها أول الأمر ، ثم عاهدت نفسها لتجعلن بيته جنة ، ولتملأه غناء وألحاناً

— لا وحقك ، ولكن قولى لى ...

— هذا أمر يسير جداً ... أنت تخشى أن يعرف الناس أنك قد تزوجت راقصة ؟ أليس كذلك ؟

— ما هذا الذى تقولين يا سنية ؟

— بل هذا هو الذى يخيفك ... وأنا لذلك أرفضك !

— هذه قسوة شديدة لا أحتملها !

— قلبك ليس شجاعاً ، فهو لا يحتمل كثيراً

— سأبرهن لك أنك فهمتنى خطأ

— وكيف تبرهن على ذلك ؟

— سأطلب يدك إلى أبيك !

— أبى !

— أجل !

— وهل تعرف أبى ؟

— أسأل عنه !

— تسأل من ؟

— أسألك أنت

— خير لك أن تسأل غيرى فقد أ كذبك !

— لا تستطيعين !

— ولماذا لا أستطيع !

— لأن من كان له مثل لسانك لا يكذب !

— إذن ...

— إذن ماذا ؟

— لقد مات أبى !

— فأنت يتيمة إذن ؟

— أجل ، ولذلك نشأت راقصة

— إذن هلمى ...

— إلى أين ؟

— إلى للقاضى ...

وعن زوجته ، وقد علم الناس أنها كانت راقصة ، وقد تحدثوا بذلك طويلاً ، وتحدث به أصدقاء صبرى وفى مقدمتهم غالب أفندى عبد الرؤوف صديقه الأخرى ، ولا شك فى أن صديقه الأخرى هو الذى أذاع هذا الخبر وإن يكن قد أذاعه مثبناً مادام لا ذاماً ولا قادحاً .. لكن النية معروفة على كل حال .. لقد أراد غالب أفندى أن يقول للناس إن صبرى أفندى نجيب صاحب هذا المنزل الجليل المنزل المتزوج راقصة ، وسيفهم للناس أن كلمة متزوج هذه كلمة (تجوزية) فهم يقولونها ويريدون أن يقولوا إنه يؤوى فى بيته راقصة ... والناس فى الريف وفى المدن الصغيرة لا هم لهم إلا التحدث فى شئون غيرهم الخاصة ، يساعدهم على ذلك فراغهم الكثير وعدم اتصال أشغالهم ... والانسان متكلم شغشاق بطبعه ، لا يستطيع أن يحزن لسانه إلا على قلبى ، وهو إذا لقي إنساناً آخر جعل يفكر فى ألف حديث يقوم بينه وبينه ، فإذا ضاقت به الأحاديث أرسل أى حديث والسلام ... فما يبالي أن يكون هذا الحديث غيبة وهو عادة لا يقصد الغيبة ، إنما هو يقع فيها وهو لا يدري ؛ ومن الناس من يقع فى الغيبة وهو متمدد لأن كثرة وقوعه فيها غير عامد قد مهد لوقوعه فيها عامداً ، فهو يلقى الحادث الصغير فما يلبث أن يحوكم له الأطراف ، ويفرغ له بالمين والأنف وسائر أجزاء الوجه حتى تستقر فى روع السامع منه أشياء ليست من الحق ، وليس فيها من الحق شئ ...

هكذا يعيش الناس فى الريف وفى كثير من المدن الصغيرة ... وقد سمع صبرى حديث الشايعين فأحس لساعته أن سحابة تنعقد فى سماء سمادته ،

ومضت شهور والالاف مطمئن إلى إلفه ، سعيد به سعادة لا تشوبها شائبة ، ولا يكدرها مكدر ثم جلس صبرى مرة فى ظل شجرة عارشة فوق دواره فسمع شايعين يتناحيان خلف الجدار فيقول أحدهما والآخر يجيبه :

— كلا يا سيدى ... لقد جاء بها من مصر .. وكل الناس يقولون إنها راقصة !
— يا شيخ اتق الله، صبرى بك يتزوج راقصة ؟
— والله لقد سمعت هذا من فم لا يكذب
— وممن سمعته يا صادق ؟
— من أعز أصدقاء صبرى بك ... من
غالب أفندى عبد الرؤوف

— وما دخل غالب أفندى عبد الرؤوف فى أن يتزوج صبرى بك راقصة أو غير راقصة ... الرجل حر ، وهو الذى اختار لنفسه ، ورب راقصة خير من نساء قريتنا جميعاً !

— مهما يكن الأمر فغالب أفندى يقول إن صبرى بك سعيد جداً بزوجه وهى خير له من أى زوجة أخرى .

— ولماذا ؟ لماذا يقول غالب أفندى هذا الكلام !
— قات لك إن غالب أفندى لم يخطئ فى حق صديقه ...

— مجرد ذكر الزوجة التى لا شأن لأحد بها خطأ يا صديق ، هكذا علمنا هذا الريف الذى نميش فيه !
— هذه مغالاة يراغب .. الحمد لله غالب أفندى رجل يحب صبرى بك ويخلص له ، وقد مدح زوجته مدحاً طيباً وأثنى عليها ثناء صادقاً .

إذن فقد كان الناس يتحدثون عن صبرى أفندى

— ما دمت لم ألق أحداً فكيف أسمع كلاماً ؟

— أوه ! صحيح ... أنا غبية

— عفواً ...

— هل أغنى لك ؟

— أكون سعيداً لو فمت

— وعليك أن تأخذ للمود يا عزيزي

— لا أقدر

— إذن أقوم بالفناء والموسيقى مما ... هل

تقترح شمرأ فأغنيه ؟

— ليس في رأسي كلمة واحدة فأقولها

— وأختار أنا مقطوعة من كلامك

ثم تناولت سنية عود زوجها فرجعت بصوتها

عليه ، فراعها إلا أن ترى دمة تغالب عين صبري

ثم تنطلق على خده حارة ساخنة ، فألقت بالمود ناحية

وقالت له :

— ماذا ؟ أنت تبكي ؟

— لا ... أبداً

— وما هذه الدموع إذن ؟

— إنها نتيجة ما برأسي من ألم للصداع

— لا ... لقد سمعتها تقول شيئاً !

— الدموع تتكلم ؟ هذا هو الشمر الذي كنت

تعيينني به

— وهذا هو الشعر الصادق الذي لم تستطع

أن تضرب لي عليه مثلاً !

— غنى غنى

— لن أغنى حتى تذكر لي ما يبكيك

— عجيب والله ! أغنى أنا !

ثم تناول للمود فأمر أنامله على أوتاره فذهبت

تغلاً للفرقة رنيناً وأيننا ... وغنى غناء موحياً باكياً

فقال له سنية :

وأن كاسامرة المذاق ترتفع إلى شفتيه ، وينسكب

منها شيء في فمه

وانقلب صبري إلى منزله مفكراً مقطب الجبين

ساعماً ، فلما لقيته سنية لم تبال عبوسه وتقطيعه ،

بل راحت تلف ذراعها حول عنقه ، وتسלט عينها

الرائتين في عينيه للسادرتين ، ثم تغمز فيه المرتجف

بالقبل ...

بيد أن قبلها لم تسحره هذه المرة ، وظل صبري

فاتراً كالذي سري في كيانه هم ، أو فاجأته نازلة ...

فقال له وقال لها :

— ماذا ؟ هل ضاع كيس نفودك ؟

— لا ... أبداً ...

— هل خطف طفل طربوشك ؟

— ها هو ذا طربوشي

— هل حذقتك فلاحه بقراءة ؟

— ... ؟ ...

— مالك مقطباً هكذا ؟ ماذا حدث إذن ؟

— لا شيء ...

— أصريض أنت ؟ أتحس تعباً في رأسك ؟

— قليلاً

— إذن خذ هذا القرص السكن

ثم أذابت له للقرص في قليل من الماء ومدت

إليه الكوب بيدها للفتاة الرائمة فتناوله وشرب ،

ثم تطرح على السرير أمام سنية

— أين كنت يا صبري ؟

— كنت في الدوار

— هل لقيت أحداً ثمة ؟

— ما لقيت أحداً اليوم

— هل سمعت كلاماً ؟

— لقد ضحكت عليه بنت من بنات مصر وربما
ذهب ليتزوجها !

— ومن قال لك هذا ؟

— البلد كلها تقول ذلك !

— كل البلد ؟

— كل البلد ... بلدنا لا تخفى عليها خافية ولا

يغام فيها بيت قبل أن يعلم أخبار جميع البيوت !

— هذا عجيب ... لكن صبرى لم يخبرنى بشيء

من ذلك !

— وهل قال لأحد إنه سيتزوجك قبل أن

يفعل ؟

— وماذا يقول للناس عنى يا ترى ؟

— كل خير ... كل خير يا أختاه

وجاءت للقهوة فرشفت سنية رشقة ونهضت

مودعة شاكرة ، ثم انطلقت إلى منزلها وبها من

الهم والقلق أضاع ما كان يقيم صبرى ويقمده منها

ترى أين ذهب صبرى ؟! أحيقة ذهب ليتزوج ؟

ولم لا يكون هذا وقد لبث هذا للشهر واجماً ساهماً

حتى لحظ للكل ذلك ، وحتى لحظه غالب نفسه

ودليل هذا ذلك الحديث الطويل عن الحب والمحبين

بينه وبين فؤاد !

لقد راهن غالب صديقه فؤاد على هذا ... لقد

راهنه على أن حبه لهذه الزوجة اراقصة لن يطول

أمد ، لأنه حب طارىء دخل قلبه من فوق المسرح

وتحت فيض من الأنواء ، وبين ثنى الأذرع وتلوى

الأنفاز ، وهز الردف وتكوير الأثناء ... ثم إرسال

الابتسامات المصنوعة التى تزيد فى جاذبية الرقص

وإغلاء البضاعة ...

هكذا زعم غالب ، وهكذا حكم على وحدانية

— هذا الفناء ترجان صموك ... ألا تذكر

ل يا صبرى لماذا كنت تبكى ؟

— لم أكن أبكى ، وما كذبتك يا سنية !

وفترت بهجة المنزل بعد ذاك ، ثم مضى شهر

وصبرى لا ييوح لزوجه بشيء مما يؤله ... ثم

أصبحت فلم تجده معها ... فبحثت عنه فلم تمر عليه

بالقرية ...

هنا ... قام طائف من الشك فى قلب الفتاة ...

فقد غربت الشمس وصبرى لما بعد إلى منزله ...

أين ذهب يا ترى ؟

وخطر لها أن تقصد إلى منزل غالب أفندى

عبد الرؤوف لتسأل عن بعلمها ... لكنها لم تجد الرجل

ثمة ، ولقيتها زوجة غالب أفندى فأكرمت لقاءها ،

وكان الأستاذ غالب يتحدث إلى زوجته بدافع

الفضول الرقيق عن صبرى أفندى وعن زوجة

صبرى أفندى ، فلما عرفت ربة المدار فبم أقبلت سنية

وكان الوجد والقلق باديين على وجهها حزرت أنها

ناقة على صبرى وعلى الزمان الذى ربط جبالها بحباله

فقلت :

— لا أدري يا أختاه ماذا سرك من أمر هذا

الرجل حتى رضيت زواجاً لك ؟

وهنا عرفت سنية كيف تستغل سداجة هذه

الرفيقة فدت لها فى الحديث قائلة :

— هذا نصيبى يا سيدتى !

— مسكينة ، إن صبرى رجل غنى وهو لهذا

لا عمل له إلا ضرب المود والفناء والسفر بين مصر

والقازيق ... ألم تعلمى الخبر الجديد ؟

— أى خبر ؟

عظمة كاسفة ، فلما رأت الفتاة الجميلة الرائمة إلى جانبه ، ذهلت ، وسكنت برهة ثم قالت له : « أهذه هي ؟ » فقال صبرى : « هذه من ؟ » فسالت دমে ساخنة على خد زوجته وقالت : « زوجتك الجديدة » فأصرع صبرى إلى زوجته فأخذها في ذراعيه مداعباً وقال : « أجل ياسنية ! هذه ابنة أخى يا أعز للناس على . هلى هلى .. أعدى الحقايب فلن نعيش هنا بعدا » وكأنما أفاقت سنية من حلم ، فنظرت إلى زوجها وقالت له :

- لن نعيش هنا ؟
- أجل ... ولا يوماً واحداً
- هذا محال !
- بل هذا واجب ... لقد استأجرت منزلاً جميلاً فى الزمالك ...
- ولماذا يا ...
- لأنى لا أريد أن أحرم من الجنة التى ما دخلتها إلا معك !
- ما ذا تقول يا صبرى ؟
- ألا تفهمين ؟ إنك كنز عظيم ياسنية ولن يضيع كنزى من يدي .

- ولماذا نهجر الريف ... إني أحبه ...
- أما أما فلقد ضقت به

وعاشا فى الزمالك للساحرة عامين كاملين ... لكن سنية علمت زوجها كيف لا يكثرث بالناس ... وما زالت تلح عليه فى العود إلى الريف حتى رضى كارهاً ...

ووقف ابنهما كامل الجليل فى حديقة العنب مأخوذاً بسحر الريف وهو يهتف بوالده ويقول :

« بابا . بابا ... حلوة يا بابا ! »

درىنى فشيته

الحب بالفساد ، فيأتى ! أين ذهب صبرى ! لقد ظل شهراً يتأمله عابساً متجهماً لا يتبسط ولا يفرج عن نفسه وعن أهل منزله ... وكان يصنى إلى غناء سنية فى فتور وتكلف ، ولم يكن يبادلها هذا الانشراح الذى كان طبيعة فيه ... فأين مضى يأتى ؟

ومكثت سنية أياماً ثلاثة وهى لا تدرى أيا ن مضى ولا أيا ن يجىء . ولا أين تلقاه فتنهض من فورها لتضى إليه .

وكانت كالذى ينتظر الحكم عليه من قاضيه ، فلم تكن تذوق للكرى طوال هذه الأيام الثلاثة ... بل كانت تفكر أفكاراً سوداً كقطع الليل ... وهمت بالانتحار صرات ، لكنها لم تؤثر أن تموت قبل أن تعرف

إنها لم تخطئ قط فى هذا المنزل .. بل بالعكس لقد صيرته جنة وارفة الظلال ، وحاطته بالطهر ، لأنها عاشت حياتها نقية طاهرة ... لقد ملأته غناء وموسيقى وبهجة ... لقد مثلت دور الأنثى كما تمثله حور الجنان ... ماذا كان يطلب منها صبرى غير هذا ؟

ووقف قطار الصباح فى محطة القرية ونزل منه صبرى ومعه فتاة ناهد هيفاء ممشوقة القد ، بفيض بردها شباباً ويهتز جسمها الريان خصيباً ... ولقيه غالب فخياً ثم سلم عليه مصافحاً ، وهتف به بالفرنسية قائلاً : « عسى أن تكون قد وفقت هذه المرة يا صبرى ! » فتبسم صبرى ابتسامة صريحة وقال لصاحبه : « إن شاء الله ... لقد وفقت يا صاحبي ! » وكانت هذه آخر كلمة وجهها صبرى إلى غالب مدى الحياة !

وذهب الفتى إلى منزله فلقينته سنية موهونة